التوحيد، هل هو موجود

اسئلة يجب ان يجيب عليها كل موحد, سواء أكان الخالق بثلاثة اقانيم او واحد.

د. جلنك باشا العراقي

التوحيد, هل هو موجود

اسئلة يجب ان يجيب عليها كل موحد, سواء أكان الخالق بثلاثة اقانيم او واحد.

د. جلنك باشا العراقي



شركة تراق
كندا
2011

االقناعة بوجود الخالق مسئلة شخصية. هي ليست موضوع للمزايدة او المنافسة. انها تعبير عن قناعة الشخص و الكيفية التي يرى فيها العالم و الحياة. هو مشابه بصورة او اخرى بالقناعة بوجود الذرة او الفوتون او غيرها من الكيانات التي لايمكن مشاهدتها. الفرق بين الاثنين هو, ان االعلماء استطاعوا خلال العصور و الاجهزة من تحديد معالم الذرة او الفوتون و بعض خواصهما, بينما فشلوا في تحديد معالم الخالق سوى الملاحظات التي كانت موجودة منذ زمن بدأ الانسان بالتفكير بالعالم و كيفية تكوينه. يمارس الناس طقوسهم تعبيراً عن هذه القناعة لاعتقادهم بان الخالق امرهم بتلك الممارسة و اسلوبها ووقتها. هذا الموضوع مشترك في مختلف الاديان و الطقوس و المذاهب عبر الزمن و الامم و الشعوب.

القناعة بوجود خالق يقابله القناعة بعدم وجود ذلك الكيان المسمى الخالق (*ان كان من االممكن تسميته كيان*). و اصحاب ذلك المذهب هم من يسمون انفسهم اللادينيين و يسميهم اصحاب القناعة بوجود الخالق 'كفرة' *(معنى كلمة كفر باللغة العربية هو الجحود الذي هو نقيض الاقرار (حسب ابن منضور, لسان العرب كلمة جحد))*. الفرق بين الاثنين ليس كبيراً. حيث يعتقد ذوي القناعة بالخالق بوجود كيان هو كيان الخالق قام بخلق او انشاء او تكوين الكون كما نعرفه. بينما يعتقد من يسمون انفسهم اللادينيين (*اي الذين لايدينون لاحد باي شيء*) بان الكون لم يكن يحتاج لمرحلة الخالق لكي يتكون حيث ان الخالق نفسه يحتاج الى خالق يخلقة. اي ان الفرق بين الفريقين هو في قرار كيف بدأ العالم اما بدأ بالكون او بدأ بخالق خلق الكون. و الجدل حول هذا المنطق عقيم كما يبدوا للمتمعن, حيث ان الفرق بين الجدلين طفيف بشكل مدهش . ان كلا الجدلين لايمكن اثباتهما و يؤديان الى نتيجة واحدة هي تكّون الكون و الزمن الذي نعيشه. و عدم القناعة بوجود خالق هو شان شخصي اسوةً بالقناعة بوجوده.

رغم كون الفرق طفيفاً كما تم ذكره الا ان اصحاب اي من القناعتين يرفض بشكل غريب التخلي عن قناعته لاصحاب الفريق الثاني. وارتكبت الكثير من المجازر عبر التاريخ بسبب ذلك الرفض, ولرغبة الفريق ذو القناعة بوجود الخالق في فرض رأيه.

يثير هذا سؤالاً مفادة **ما هو سبب القناعة بوجود الخالق و لماذا صمدت هذه القناعة عبر الزمن؟**

لعل من اسباب القناعة بوجود الخالق و استمرار هذه القناعة هو, وجود المجهول. اهم مجهول موجود عبر التاريخ هو الحياة و الممات, حيث فشل العلم لحد هذه اللحظة في تقديم التفسير و ايجاد القواعد المقنعة لهما بشكل يقتنع بها اصحاب القناعة بوجود الخالق. ولعل بعض الاسباب الاخرى متعلقة بطبيعة البشر ككل. حيث يبدوا ان الانسان بشكل عام ينحو الى التكرار و القاء التبعة على الاخرين دون الذات. حيث من السهولة بمكان تفسير اي تصرف بانه تم باوامر من الخالق بدلاً من محاولة البحث وايجاد تصرف او رد فعل لامر معين و من ثم ايجاد التبريرات الاخلاقية و الاجتماعية المقنعة لهذا التصرف امام الاخرين. هذا بالاضافة الى ما سيتم ذكره في سياق المقال.

الجدل و السؤال المهم والذي يجب على اصحاب القناعة بوجود الخالق الجواب عليه هو؛ **هل الخالق هو كيان واحد ام عدة كيانات؟**

اذا كان الخالق كياناً واحداً كما تدعو له الديانات التي تعرِف نفسها بانها ديانات موحدة, او سماوية, او كانت كيانات متعددة كما كانت تدعوا له الديانات الاقدم او بعض الديانات الحالية التي يسميها البعض الديانات الغير سماوية (*الدين هو العادة و الشان حسب الصحاح في اللغة و هو العادة في لسان العرب لابن منضور. من الطريف الذكر بان البعض يدينون الكورد في عبادتهم بالقول "دين الكوردي عادة وليست عبادة" لعلهم لا يعرفون لغتهم لان معنى الدين هو العادة كما هو مذكور في القواميس*). عندها يجب على اصحاب تلك القناعة الجواب على عدة اسئلة محيرة؟

اول الاسئلة هو **ما هو اسم ذلك الخالق؟ هل هو ياهوه ام الله او خودا او انو او المسيح او اي اسم آخر؟ و عندما يتخذ اي قوم اسماً لهذا الخالق يختلف عن تسمية شعب آخر له هل يشكل ذلك اي فرق؟ و ما هو ذلك الفرق؟**

سبب الحيرة في هذا السؤال هو ان الشعب الذي يسمي ذلك الخالق باسم معين لا يقبلون تسمية مختلفة لذلك الكيان! هذا ما لا افهمه؟ اذا كانت تسمية "الماء" عند العرب كما ذكرتها و عند الكورد "آو" و عند الانكليز" وتر" هل يغير ذلك من طبيعة الماء او يجعله شيئاً آخر؟

يشاء ذوي القناعة بوحدانية الخالق او (*الرب او الآله او اي تسمية اخرى يشاءون تسميته*) ان يميزوا انفسهم عن غيرهم من الذين لا يمحملون تلك القناعة. حيث يرتدون ملابس مختلفة او يستعملون مسميات مختلفة لنفس الشيء او حتى يضعون اوسمة او اشارات على اجسادهم او على ملابسهم و يتبنون عادات و تقاليد معينة في تصرفاتهم و حتى في دقائق حياتهم مثل الماكل و المشرب و التعامل و كيفية الاستحمام. ذلك لرغبتهم في ان تكون كل تصرفاتهم متوافقة مع ما يعتقدون انها ارادة الخالق, من خلال ما يفهمونه هم انفسهم عن تلك الارادة مثل عمل الخير او مساعدة الاخرين, او ما ينقله لهم من يعتقدون بانهم يفوقوهم معرفة بذلك الخالق مثل الامام او القس او المطران او الرابي او غيره. ان العمل على تحقيق هذه الرغبة هي من حقهم بكل تاكيد.

تطور العلم مع الزمن و توسعت الاكتشافات العلمية و انتشرت المعرفة و اسلوب الاطلاع عليها و تزايدت قناعة بعض الناس بصحة هذه الاكتشافات العلمية التي يستطيعون تلمس صدقها من خلال وجود وسائل الاتصال المختلفة, ادى ذلك الى تطور اساليب و موضوعات الحجج التي يضعها كل فريق لاثبات وجهة نظره. تطورت فكرة الخالق الواحد بمرور الزمن على ذوي القناعة بوحدانية الخالق و تقادمه, و ظهر الانقسام بين اصحاب تلك القناعة. دب الاختلاف بينهم عكس اللادينيين الذين لم يختلفون بشأن كنه شيء لا يعتقدون بوجوده اصلا. اتخذ اصحاب القناعة بالخالق الواحد تفسيرات مختلفة في تفسير كنه ذلك الخالق و ارادته و تصرفاته باختلاف الشخص المتبوع.

انعكس الاختلاف بين افراد ذوي القناعة بالخالق الواحد على حياة متبني اي فكرة من الافكار المختلفة. حيث اختلفت ملابسهم و عاداتهم و تصرفاتهم و التعابير التي يستعملها ذوي القناعات المتشابهة عن اقرانهم التي يختلفون معهم في تفسيرهم لكنه ذلك الخالق, رغم ان المجموعتين تشتركان في الاعتقاد بوحدانية الخالق. حيث اصبحت حججهم تختلف احدهم عن الاخر و من ثم تطور ذلك الى تمييز انفسهم عن من سبقهم من اصحاب الديانات الموحدة. اتخذ بعضهم اساليب تميزهم تختلف عن وسيلة الاخرين في تمييزهم. و اصبح كل منهم ذو ديانة مختلفة. و انقسم ذوي القناعة بوجود الخالق الواحد الى ديانات مختلفة.

من الطبيعي ان يعتقد صاحب اي ديانة من الديانات الموحدة المختلفة بان ديانته هي الديانة الحقيقية و الاخرى ليست كذلك. و من الطبيعي ان يعطي صاحب اي من تلك الديانات المبررات و الحجج التي تدعم قوله و مذهبه. و هنا يبرز السؤال المحير الأخر وهو **ما هو الاختلاف بين الديانات الموحدة المختلفة اذا كانت لدى اصحابها قناعة مشتركة بوجود خالق واحد؟**

سبب الحيرة في هذا السؤال هو حقيقة ان من يعتقد بان الله يختلف عن خودا الذي يختلف عن ياهوا او عن المسيح يضع نفسه في موضع المشرك لاعتقادة بوجود كيان آخر (*خالق آخر*) تتم عبادته غير الله. و بما ان صفات الخالق ليست محددة و لايمكن لاي كان ان يحدد ملامح معينة للخالق يمكن ان يتاكد منها الاخرون عدا كونه خلق الكون, فان اي ادعاء من قبل اي من تابعي اي ديانة موحدة مهما كانت يمكن ان يكون ذو مصداقية. بعكس الجدل حول شيء معروف الملامح او الصفات و يمكن للآخرين التاكد من تلك الصفات بانفسهم كالفوتون او الذرة.

رُبَّ مجيب يقول بان تعاليم الاسلام تختلف عن تعاليم اليهود وهذه تختلف عن المسيحية. هذا يزيد من الحيرة!! حيث ان المجيب يعترف ضمناً بوجود خالق غير الله, لدى اليهود قناعة بوجوده اعطاهم تعليمات مختلفة و آخر للمسيحيين و ان القائل بهذا يضع نفسه موضع المشرك ايضاً لقناعته بوجود اكثر من خالق!! او انه يقول بانه يؤمن بالخالق و الاخرون يؤمنون بشيء يعتقدون بانه خالق ولكنه ليس كذلك!!؟ عندها يتحول الشخص الى دعي يدعوا الى الاشراك بدعوى الايمان لسبب بسيط انه لا يستطيع اثبات ادعاءه بحقائق موضوعية سوى الاستشهاد بآخرين الامر الذي يستطيعة اصحاب مختلف الديانات. و يرقى الى ذلك, ادعاء اصحاب احدى الديانات بان الخالق قام بفعل معين, بينما ينكر اصحاب ديانة اخرى نفس ذلك الفعل.

من ما هو مذكور اعلاه يبدوا بان اصحاب القناعة بوجود خالق واحد من افراد ديانة موحدة معينة, من الذين يعتقدون بان اي ديانة موحدة اخرى هي ديانة غير حقيقية او ذات مصداقية, يضعون انفسهم في تناقض مع مبادئهم و قناعاتهم في المقام الاول من خلال وضع انفسهم موضع المشرك الذي لديه قناعة بوجود اكثر من خالق لهذا الكون.

يقودنا هذا التفكير الى منحى الجواب على السؤال السابق حول الفرق بين الديانات المختلفة, اذا كانت قناعتها كلها هي حقيقةً وحدانية الخالق, و ان الاختلاف بينها هو اختلاف المراجع التي يرجع اليها كل شخص يتخذ اي من هذه الديانات. يعني هذا بان قناعتهم هي واحدة في المبدأ ولكنها مختلفة في الممارسة.

ولكن هذا يقودنا الى سؤال آخر محير وهو **ايهما اهم القناعة بوجود الخالق الواحد او القناعة بصحة تعليمات مخلوق؟**

علي الاعتراف بان الاختيار بين هذين الخيارين صعب. اذ ان القناعة بخالق واحد بدون تعليمات يمكن اتباعها و الالتزام بها لايمكن ان يؤدي الى قناعة الشخص بانه ينفذ مايريدة منه الخالق, خصوصاُ و انه لا يعلم ما يريدة اذا لم يتبع تعليمات شخص آخر مثل نبي او امام او قس او غيره. و من طرف آخر انه اذا قام بتنفيذ تلك التعليمات و القواعد فانه يعفي نفسه من الحيرة في هذا الشأن ولكن يضع نفسه في موقع اتباع تعليمات انسان مخلوق دون تعليمات خالق, و من هذا المنطلق ظهرت الكتب المقدسة, التي يقول اصحاب الديانة التي تسير على هدي اي منها بانها تعليمات الخالق للمخلوق. ولكنها بوضعها هذا لم تستطع ان تمنع التناقض الاول الذي ذكرته في البداية و هو الوقوع في تناقض يفرضه وجود اكثر من كتاب مقدس واحد و من ثم اكثر من ديانة و من ثم الوقوع عملياً في موقع المعتقد بوجود اكثر من خالق.

يتولد من هذا تناقض آخر وهو من يقوم بتفسير و شرح تلك الكتب المقدسة و تطبيقها على الحياة اليومية العملية المعقدة والتي تتغير مع الوقت. لابد من شخص يقوم بذلك و عند قيام اي شخص بذلك فانه يقوم بتطبيق رأيه و نظرته للحياة و بما تمليه عليه مصالحه. يؤدي هذا الى بروز اختلافات اخرى في تفسير الكتب المقدسة انعكس على شكل مذاهب و فرق مختلفة.

يقودنا الجدل اعلاه الى الجواب على السؤال السابق بان الاختلاف بين الاديان المختلفة هو اختلاف قناعات و تفسيرات الناس للكتب المقدسة التي وجدت لتوضيح اصول و سبل تطبيق رغبة الناس في معرفة الخالق و العمل بتعليماته. بكلام آخر بان الاختلاف بين الاديان المختلفة هو بسبب الاختلاف بين المخلوقات التي تدل الناس على سبل عبادة الخالق. هذا الاستنتاج خطير بشكل كبير لسبب واضح وهو ان القناعة بوجود خالق و الرغبة في ممارسة شعائر و ممارسات معينة للدلالة على هذه القناعة تجعل الناس يتبعون اهواء و رغبات و مصالح مخلوقات او ناس آخرين مما يمنح هؤلاء الاخرين السلطة و المقدرة على تسيير تابعي تلك الديانه باتجاهات تتوافق مع مصالحهم الشخصية و الخاصة. خصوصاً بعد ادراكهم بامكانية استعمال الدين كاسلم طريق و افضل وسيلة لجعل شخص معين يتصرف ضد مصالحة الشخصية و الوطنية.

ان محاولة شخص ما القول او الاثبات بان طريقة عبادة الخالق مرتبطة فقط بتصرف معين محدد مثل طريقة الصلاة او طبيعة الصيام او غيرها بالخلاف مع دين موحد او مذهب آخر لا يعتقد بذلك التصرف يعني عدم الايمان بوجود الخالق ولكن هو الايمان بطرق ممارسة العبادة التي هي بالاساس من وضع المخلوق. اي ان ذلك الشخص مؤمن بالتعليمات وليس

بالخالق. بهذا لا يمكن للشخص الذي يحدد مقدار ايمانه هو شخصياً او الاخرين, بمقدار الارتباط بتلك التعليمات, القول بانه يؤمن بالخالق بل بالعكس ان هذا الامر يرقى الى الكفر. لان قناعة الشخص هي ليست بوجود خالق ولكن بوجود تعليمات على شكل تصرفات (*عبادات*) و تفسيرات و اعتبارات يعتبرها اكثر اهمية من توحيد الخالق. لا يفيد الاستشهاد باي كتاب مقدس في هذا النقاش لان كل طرف لديه كتابة و كل طرف لديه السبل للدفع عن حجته. كذلك لا يفيد التعليل بالزمن بالقول بان الدين "سين" كان قبل الدين "صاد" او ان الدين "الف" كان آخر الاديان لان الزمن اوجد الكثير من الاديان التي ظهرت ولازالت تظهر بعد الدين "الف" سواء آمن بها الشخص ام لم يؤمن بها. من ما هو مذكور اعلاه يمكن القول بان بذرة الشرك موجودة لدى اي مؤمن بديانة موحدة واحدة دون الاخرى ويعتقد بان اصحاب الديانات الاخرى هم كفرة شاء ذلك ام ابى. و بذلك يسقط الادعاء بالتوحيد لوجود نقيضه في التصرف و النتيجة.

يتبجح اصحاب الكثير من الديانات بانهم اتباع الديانة السماوية الموحدة بالضد من الديانات القديمة التي كانت تؤمن بتعدد الآلهة عندما كان لكل مدينة الاهها و لكل قوم الههم. **ما هو الاختلاف الان؟** الاختلاف هو فقط ان بعض اتباع بعض الديانات الحالية التي تسمي انفسها موحدة (*تم التطرق الى تناقضها مع نفسها عند التعمق في ذلك التحديد*) تأبى ان تضع صورة او تمثال للمعبود او النبي او غيره. هذا الاختلاف لا يجعل ديانتهم مختلفة عن اي من الديانات القديمة التي يحلوا للمؤرخين القول بانهم كانوا يعبدون آلهة متعددة (*الديانة العراقية القديمة لم يكن بها صور او تمثال للاله الاكبر فيها اي الاله آنو*).

ادركت الدول و الشعوب مقدار قوة و جبروت الدين و رجاله في تسيير الامور و التاريخ و فرض الارادة و المصالح, فلجئت الى ربط اهدافها القومية او الدولية مع الديانات المختلفة. فربط اتباع الجزيرة العربية انفسهم مع الدين الاسلامي و فرضوا ممارسات تربط اتباعها بارضهم مثل الحج و الصلاة (*ولعل قيام التبرعات السخية للمنظمات الاسلامية العربية لمنطقة كوردستان, التي خربتها حملات الانفال و الحروب, بعد حرب الكويت لبناء جوامع فيها بدلاً من مساكن او مدارس, و قيام المنظمات المسيحية ببناء الكنائس, هو مثال على ذلك*), و رفض الانكليز ان يتبعوا بابا روما فاوجدوا الكنيسة الانكليزية و ابقوا تبرعات الكنيسة و اوامرها لانفسهم و فعل مثلهم الروس مع الكنيسة الارثودوكسية. و هناك العديد من الامثلة الاخرى.

الديانة الموحدة ان وجدت, ستقبل عبادة الناس للخالق باي وسيلة كانت و وفق اي طريقة للعبادة يقوم بها اتباع اي من الديانات الموجودة على سطح الارض او التي ستوجد في المستقبل. لانها جميعاً تعبد الخالق نفسه مهما اختلفت طريقة العبادة او الممارسة او الملبس او المشرب او غيرها. ولكن وجود ديانة او عبادة مثل هذه ستتناقض مع بعض اسباب وجود العبادات و الديانات التي هي رغبة الناس في التفرد و التميز في ممارسة اساليب التقرب للخالق من ناحية و من ناحية اخرى رغبة البعض في السيطرة و تنفيذ مصالحهم الخاصة من خلال اسلوب عبادة معينة.

ادت محاولة اصحاب الديانات المختلفة تعريف انفسهم, بالملبس و التصرف الى ظاهرة التعريف و من ثم التفريق و الاضطهاد (*و هذا يختلف عن الشخص الذي يعتقد بوجود الفوتون او الذرة او ينكر وجودهما حيث لم يتخذوا لانفسهم صفات خارجية يمكن تفريقهم بها*). اصبح بامكان صاحب الديانة او المذهب السائد, تقسيم الناس الى شركاء في الدين و آخرون من اصحاب و اتباع دين آخر او ملحدون. و ادى ذلك الى التقسيم و التفرقة في التعامل و من ثم مذابح و محاولات نفي الآخر و ازالته من الوجود بدوافع مختلفة. رغم ان ذلك يحدث بتعليمات من اشخاص ذوي مصالح خاصة الا انه يحدث باسم الدين و الديانة. لا اضن بان الخالق يقبل ان يقوم مخلوق ما باذية احد من مخلوقاته. ان ذلك غير مقبول ايضاً من الناحية الانسانية ولا يمكن تبريرة بانه ارادة الخالق باي شكل من الاشكال. ليس من حق اي شخص مخلوق ان يعتدي على حقوق اي شخص مخلوق آخر في هذا الكون و يحرمه من حقه في ممارسة معتقده. لكن هذا هو بالضبط ما يحصل في انحاء كثيرة حول العالم.

ادرك العراقيون اصحاب الديانة الموحدة الاولى على وجه الارض, ما يجري و طبيعته و مخاطره, لهذا اوجدوا عبادتهم و مراجعهم المرتبطة مع العراق منذ بداية سيطرة المسلمين على اراضيهم. حيث اوجدوا المذهب الشيعي. استفاد العراقيون من تاريخهم و حضارتهم العريقة في تعزيز القوة و المتانة العقائدية لمذهبهم و ابقاء تبعيته على ارضهم, بحيث لم يستطع اتباع الجزيرة العربية (*السعودية الان*) من القضاء عليها رغم الزمن و رغم المذابح و الهجمات المستمرة. ولكن فشلت بعض محاولات كورد العراق في ايجاد مذاهبهم الخاص في العبادة. كانت اخر تلك المحاولات الفاشلة عندما قام الملك و اتباعه بقتل احمد بارزاني الذي كان يدعوا بان الله واحد مهما كانت طريقة عبادته و ذلك في النصف الاول من القرن العشرين. حيث اعتبره الحكم الملكي السعودي الاصل كافراً و امر بقتله.



شركة تراق
كندا
2011